مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)   المجلد : ٣٧ ، العدد: ١ السنة : ٢٠١٢ ، ص٥-٣٤

تجلَّيات الانقلاب القِيَمِـي في الشعر الأندلسي

علي مطشر نعيمة
جامعة البصرة – كلية التربية – قسم اللغة العربية

الخلاصة

رصد هذا البحث مسارات الانقلاب القِيَمِي في الأندلس ، وَوَزَّعَها على ثلاثة محاور هي : هجاء الإنسانية ، والفتوى الشعرية المُحرَّمة ، وتمجيد الرذيلة .

تمثِّل المحور الأول في الشعر الهادف إلى الحَطِّ من قَدر الإنسان ، إذ وضعه في منزلة أدنى من الحيوانات أو مساوياً لها ! وصنّف الناس إلى صنفين يملكان قيماً ليست بنبيلة ، وأسهم في بروز ظاهرة شعرية خطيرة هي ظاهرة (وَأد النساء) .

وجمع المحور الثاني فتاوى شعرية صدرت عن فقهاء المسلمين في الأندلس قد أسهمت في إشاعة قيماً سلبيةً في المجتمع فاكتسبت بذلك صفة التحريم ، وكشف المحور الثالث عن ظاهرة تمجيد الرذائل عند العديد من شعراء الأندلس كالبخل والزنى والخمول .

إن المحصلة النهائية للانقلاب القِيَمي في الأندلس أنَّها سجّلت واقعاً مؤلماً تمثّلَ في ضعف هيبة الإسلام في النفوس .

تجلّيات الانقلاب القِيَمِي
في الشعر الأندلسي

مدخل :

شهِدت أرضُ الأندلس عبر ثمانية قرون متتالية صراعاً دينياً كبيراً بين المسلمين والأسبان حيث نشر المسلمون فيها تعاليم الدين وقيمه الفاضلة ، وحرصوا على الدفاع عنها بشتى السبل ، وأخذ الأسبان يتحيَّنون الفرص للانقضاض على الدين الجديد وطرد المسلمين من الأندلس .

لقد تجلّى الطابع الديني للمعركة السياسية فوق أرض الأندلس بوضوح في شعر المديح السياسي والاستنجاد ورثاء المدن ، فالممدوح يُوصَفُ بـ(التقوى) و(الإمامة) ، ويُستَنجَدُ لنصرة البلاد التي تتعرّض لخطر النصارى بـ(اسم الإسلام) ، وأوّل ما يُرثى من المدن التي تقع تحت الاحتلال مساجدها التي تتحوّل على يد الأسبان إلى كنائس ، فيختفي منها صوت الآذان ، وتُقرَعُ فيها النواقيس ، وتُعلَّقُ فوقها الصلبان .

لقد حُكِمُت الأندلس باسم الإسلام ، وحرص حكّامها المسلمون على أن يُشيعوا فيها القيم التي رسَّخها الإسلام في النفوس ، والمستمدة من عادات العرب وتقاليدهم الأصيلة .

إنَّ المجتمع الأندلسي فرَّط بالكثير من تلك القيم النبيلة ، رُبَّما جاء ذلك تحت تأثير قيم الأجناس البشرية الأخرى في الأندلس من غير العرب والمسلمين كاليهود والنصارى والصقالبة وغيرهم ، فتجلّى بذلك انقلاب خطير لتلك القيم تجسّد في مسارات متعددة متنوعة يمكن دراستها وفق المحاور التالية :ـ

المحور الأول : هجاء الإنسانية :

لقد منح الإسلام الإنسانَ كرامةً عظيمة ً حينما جعلهُ خليفة الله في الأرض ورسمت له تعاليمه السمحاء مسارات قويمة ضمنت له الحفاظ على (إنسانيته) و(كرامته) .

وسلك الشعر في الأندلس في جانب منه الاتجاه نفسه تمثّل ذلك في شعر الأخلاق والآداب الإسلامية ، ولكنّ جانباً آخر من الشعر الأندلسي سلك اتجاهاً مخالفاً للاتجاه الأول فأخذ يمسُّ كرامة الإنسان ، ويحطُّ من قدره ، ويضعه في منزلة وضيعة تنحدر عن المنزلة التي منحها له الإسلام .

أيّةُ كرامةٍ تبقى للإنسان عندما يوضع في موضع يعلو عليه موضع الكلاب ؟! .

هكذا ينظر الشاعر مالك بن المُرَحَّل (من عهد بني الأحمر) إلى الإنسانية جمعاء ، فيقول :ـ

أرى الكلابَ بِشَتمِ الناس قد ظُلمت　　والكلبُ أحفظُ مخلوقٍ لإحسانِ
فإن غضبت على شخصٍ لتشتمــهُ　　فَقُل لهُ أنتَ إنسانُ ابنَ إنسانِ (١)

ينتصر الشاعر هنا للكلاب ، فيوظّف لذلك أسلوب التوكيد بـ(قد) ، فضلاً عن دلالة اسم التفضيل (أحفظ) على تفوق أحد الطرفين المشار إليهما على الآخر في صفة (الإحسان) ، ويزري بـ(إنسانية) الإنسان ، فيوظف أسلوب الشرط المقترن جوابه بالفاء والمتضمّن الفعل الطلبي (قُل) ، فضلاً عن دلالتي التوكيد والتكرار في الجملة الاسمية (أنت إنسان ابن إنسان) .

لقد وقع الشاعر في مفارقة كبيرة ، لأنَّ الدفاع عن الحيوان وحمايته ومعاملته بالحسنى نزعة إنسانية أصيلة لا تصح أن تُبنى على نزع الإنسان (إنسانيته) ، لأنّ الإنسان هو أكرم مخلوقات الله على البسيطة .

وشاعر أندلسي آخر ، هو الخطيب أبو إسحاق إبراهيم التنوخي (عاش في عهد بني الأحمر) ، ينظر إلى الكلاب نظرة مساواة مع البشر المُتهالكين على ملذات الدنيا وقد غرّتهم بزخرفها ، فيقول :-

دنياكَ مهما اعتبرتَ فيها كجيفةٍ عرضةُ انتهابٍ

إن شئتها فاحتمل أذاهـا واصبر عليها مع الكلابِ (٢)

وفي الإطار نفسه يقول ابن سارة (ت ٥١٧ هـ) مُوَبِّخاً معاصريه :-

بنـي الدنيا بجهلٍ عظّموها فعزّت عندهم وهي الحقيرهْ

تهارش بعضهم بعضاً عليها مهارشةَ الكلابِ على عقيرهْ (٣)

يُمثلُ النصان المتقدمان دعوتين صريحتين إلى الاعتبار ، وأخذ الموعظة ، وعدم الاغترار بمباهج الدنيا ومفاتنها ، لكنهما في الوقت نفسه دعوتان قاسيتان تمسّان الإنسانِ الذي يأبى مهما كان غافلاً ومُذنباً أن يتساوى مع الكلاب .

ويُشبّه الكاتب (أبو بكر بن قزمان) (ت ٥٠٨ هـ) عالم الإنسانية بعالم الحيوانات حيث تتصارع مع بعضها ويكون البقاء فيه للأقوى ، فيقول :-

لا تطمئنَّ إلى أحد واحذر وشمّر واستعدْ

فالكلُّ كلبٌ مؤسَدٌ إلّا إذا وجدوا أسـدْ (٤)

إنَّهُ عالمَ مهول يعيش فيه الضعيفُ / الإنسانُ في ترقبٍ دائم للأخطار (احذر) ، واستعداد متواصل للصراع (شمِّر) وتوقع مستمر للمواجهة (استعد) ، فيضع أطرافَ الصراع في موقع مُزرٍ بدلالة التوكيد في قوله (الكلُّ كلبٌ مؤسدٌ) .

وانطلاقاً من نظرة المساواة بين الكلب و الإنسان يبدي شاعر أندلسي مجهول تفاؤله الكبير بتلك المساواة ، لأنَّهُ وجد في الإنسان شيئاً آخر أسوأ من الكلاب ، فقال :ـ

اشدد يديك بكابٍ إن ظفرتَ بهِ فأكثرُ الناسِ قد صاروا خنازيرا (٥)

إنَّ المقابلة بين عبارة (الكلُّ كلبٌ) في النص السابق ، وعبارة (أكثر الناسِ) في هذا النص تعطينا قيمة الإنسانية كما يراها بعض شعراء هذا العصر !! فيكون الناس في عيون هؤلاء الشعراء موتى بلا قبور:ـ

اشدد يديك على كلبٍ ظفرت بهِ ولا تدعهُ فإن الناسَ قد ماتوا (٦)

ولا يبدو وجود المعاني الإنسانية السامية عند الشاعر الضرير (ابن جابر الهواري) (ت ٧٤٩ هـ) إلا نادرة من نوادر الزمان :ـ

إنـّي سئمتُ من الزمانِ لطول ما قد صدَّ عن حُسنِ الوفاءِ رجالـُه
ومن النوادرِ في زمانك أن ترى خـِلّاً حمـــدتَ ودادَهُ وخلالـَهُ (٧)

إنـّها صور مُشوَّهةٌ للإنسان ترتبت عليها دعوات متعددة للعزلة والانفراد بالذات بعيداً عن عالم الإنسانية هذا ، مما يدل على خلوّه من الإنسانية ! من ذلك دعوة الفقيه أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية (ت ٥١٨ هـ) :ـ

كـن بذئبٍ صائـدٍ مستأنساً وإذا أبصـرتَ إنسانـــاً ففِرْ
إنـَّما الإنسانُ بحـرٌ مالـــه ساحـلٌ فاحذرهُ إياكَ الضرر
واجعل الناسَ كشخصٍ واحدٍ ثم كن مـن ذلك الشخصِ حذِر(٨)

نلتقي هنا بنص أندلسي آخر يفضلُ الحيوان على الإنسان ، فالشاعر يضع الإنسانية جمعاء في صورة إنسان واحد يصفهُ بالغدر ، ويدعو إلى أخذ الحذر والحيطة منه ، وبذلك يكون الذئب أشدُّ الحيوانات شراسةً أكثرُ أمناً على الإنسان من الإنسان نفسه ، فما بقي للإنسان من كرامة ؟!

إنَّ الشاعر يوجه دعوته ـ بلا شك ـ إلى ذاته أو إلى طرفٍ آخر خارج الجنس البشري طالما هو لا يثق بالبشر مطلقاً ، وهو بذلك يلتقي بشاعرٍ آخر هو عبادة بن ماء السماء (ت٤١٣ هـ) الذي يوصي ذاته بالتحفظ من الناس ، فيقول :ـ

لا تطمئنَّ إلــى أحــدْ   وإذا فعلتَ فلا تَـعُـدْ
واحبس متاعك ما استطعـ   ـتَ فإنَ ذاك من الرشد
واقلل مـن الإخـوانِ إنَّ (م) الأرضَ نـارً تتَّقـد
لا تلـقَ إلا حاسـداً   أو شامتـاً أو مُنتقِـد
فـارفـع أُمــورك كلَّها   للواحد الفـرد الصمد
فالناس قد فسدوا فمـا   فيهم على مـن تعتمـد(٩)

في الأبيات دعوة مباشرة إلى نزع الثقة من البشر بدلالة افتتاحها بتعميم النهي (لا تطمئن إلى أحد) فالناس (كما يرى الشاعر) فسدوا ، ومن آيات ذلك أنَّ الأخوة عندهم انقلبت إلى حسد ونقد وشماتة .

ويفضل الشاعر السُّميسر (ت ٤٨٠ تقريباً) أجناس المخلوقات كلها على جنس البشر ، وكأنه ليس منهم، فيقول :ـ

تحفظ من ثيـابك ثم صنها   وإلا سوفَ تلبسها حِدادا
وظنَّ بسائر الأجناس خيراً   وأما جنس آدم فالبعـادا(١٠)

وينقل الفقيه (أبو حيان الأندلسي) (ت ٧٤٥ هـ) خبرته بالناس إلى الناس ، فيقول :ـ

أزحتُ نفسي مـن الإيناسِ بالنـاسِ   لمَّا غنيتُ عن الأكياسِ بالياسِ
وصرتُ في البيت وحدي لا أرى أحداً   بناتُ فكري وكتبـي هـنَّ جلاسي(١١)

نتحسس (ثقل) الهم على صدر الشاعر في الدلالة التي يوحي بها الفعل (أزحت) ، وتصدرهُ هذا النص ، كما نتحسس في البيت الثاني ارتياحه الكبير بعد إزاحة الهم في دلالات الوحدة الجسدية في قوله (وحدي) و (لا أرى أحداً) وهمس صوت السين ، ودلالة ياء المتكلم المكررة أربع مرات .

إن دعوة الشاعر في هذا النص دعوة سلبية ،لأنه فقيه يُنتظر منه توجيه الفرد باتجاه التفاعل المنتج مع أبناء مجتمعه ولأنها دعوة إلى اعتزال (الأكياس) وهم الأفراد النجباء في المجتمع ، وفي هذا ما يمس كرامة الجماعة (الأكياس) وكرامة الفرد (الفقيه) في آن واحد .

وتزيد صورة الإنسانية تشويهاً تقسيمات الشعراء للناس فهم إما شامت وظالم لا يعرف العفو عند المقدرة ، كما يرى ابن ليون التجيبي (ت ٧٥٠ هـ) :ـ

لا تركننَّ إلى البشرْ إن شئتَ تأمن كلَّ شـرْ

ذهَبَ الذين إذا ركنـ ـت لهم أمنت من الضرر

لم يبقَ إلا شامتٌ أو مـن يضـرُ إذا قـدر(١٢)

وأمّا جاهلٌ أحمق أو غادرٌ يرمي سهاماً من الكيد ، كما يقول الشيخ الكاتب أبو القاسم الخضر بن أبي العافية (ت ٧٤٥ هـ) :ـ

والناس أمـا جـاهلٌ لا يتقـي عاراً ولا يخشى العقوبةَ لومـا

أو عـاقلٌ يرمي بسهمٍ مكيدةٍ كالقوسِ ترسل سهمها مسموما

فاحلم على القسمين تسلم منهما وَتَسَـد فتدعى سيداً وحكيمـا(١٣)

في النص تضييق للنوايا الإنسانية في قسمين : عقل غادر ، وجهل لا يتقي العار ، وبعد هذا التقسيم نتساءل عن قيمة الحلم الذي يدعو إليه الشاعر ؟! وأية سيادة يسعى إليها ؟! أهي السيادة على عاقلٍ غادر أم على جاهلٍ لا يتقي العار ولا يخشى العقوبة ؟!

ويدور حول المحور نفسه الخطيب أبو جعفر أحمد بن محمد بن خميس الأنصاري (ت ٧٠٨ هـ) :ـ

إنمَّا الناس في زمانك يا صا حِ فريقٌ مغرى بضرٍّ فريقِ (١٤)

صورة جديدة للصراع بين الجنس البشري تكشف عنها لفظة (مُغرى) التي توحي إلى الشر وسوء النية والاستعداد للمضرة .

ويستلذ الشاعر الوزير أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت ٦٨٥ هـ) الإحساس بالملكِ تحتَ نشوة الخمر ، ولكنه يسيء للإنسانية عندما يجعلها عبداً لملكه ، فيقول :ـ

الخمرُ ملَّكتنــي فالخلق لي عبيدُ (١٥)

ويبدو أنَّ العُجُب بالذات ، والتباهي بها له نشوة الخمر ، لذلك اندفع الشاعر بشر بن عبد الملك بن عمر (عاش في عهد الخلافة في الأندلس) إلى القول :ـ

لأضرِمَنَّ جميع الأرضِ قاطبةً ناراً وأبلـغُ ما لا يبلـغُ الأجـلُ

أنا الذي ليس في الدنيا لهُ مثلٌ وبارتقائي في العلَيا جرى المثلُ (١٦)

الشاعر يسمو بنفسه فوق الإنسانية ، فهو لا يقنع بالدهر عمراً ، ولا بالأرض مُستقراً ، وكأنه يطلب لنفسهِ وجوداً غير متناهٍ ، وطموحاً غيرَ محدود !

ونجد المنزع نفسه عند الفيلسوف ابن حبيب القصري (عاش في عهد الموحدين) ، كان فيمن ضرب عنقه من الزنادقة سلطان الموحدين أبو العلاء إدريس المأمون ، ويتجلى زهوه بنفسه في قوله :ـ

جِلتُ في علمٍ ترفعـ ـت به عن ذي البريهْ
وتـرقيـتُ إلـى أن صح لي الـذات العليه
ثم إنّـا نجـرع المو ت جميعـاً بالسويــه
فأين لي العدل يا جا هلُ فـي هذي القضـيه(١٧)

كأن الشاعر الفيلسوف يطلب في هذه الأبيات خلوداً دنيوياً ، أو هو على الأقل يتمنى موتاً يميزه عن سائر البرية مع أمثاله من العلماء .

ويدفع الفخر بالذات الشاعر أبا محمد بن مالك القرطبي (ت ٥١٨ هـ) إلى هجاء الإنسانية ليؤكد لنفسه فقط أنَّ الزمن الذي يستحق أن يولد فيه لم يأتِ بعد ! فيقول :ـ

إنَّما العذرُ لي أنْ جئتُ في زَمَنٍ لا الجيلُ جيلي ولا الأزمانُ أزماني(١٨)

وكان أحساس ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) بالغبن وعدم التقدير دافعاً إلى هجاء مجتمعٍ بأكمله يكون فيه الفرد / ابن حزم كاملاً لا عيب فيه سوى الانتماء إلى ذلك المجتمع ! قال ابن حزمٍ :ـ

أنا العَلقُ الذي لا عيبَ فيه سوى بَلدي وأنـي غيرُ طاري(١٩)

ويهجو القاضي أبو البركات ابن الحاج البلفيقي (ت٧٧٣هـ) ذاته وأهل زمانه معاً ، فيقول :ـ

وإنّـي لخيرٌ مـن زماني وأهلِهِ علـى أنَّنـي للشرِّ أوَّلُ سابقِ
لحى اللَه عصراً قد تقدَّمت أهلَهُ فتلك لعمرُ اللَهِ إحدى البوائِقِ (٢٠)

في النص انقلاب قيمي خطير لأنّه يشير إلى تهدّم الأسس التي يُختار في ضوئها القضاة ، فإذا كان القاضي لا يجد نفسه جديراً بالقضاء ، فكيف يكون موضع ثقة الآخرين ولا سيما الساسة في المجتمع ؟!

واتخذ هجاء الإنسانية مساراً شعرياً خطيراً تمثل في (وأد النساء) وهو نزعة تخالف تعاليم الدين الإسلامي التي استوصت بالنساء خيراً ، وتخالف كذلك الاتجاه الشعري الواسع في الأندلس المتمثل في رثاء النساء ولاسيما الزوجات .

وقد أسهمت أراء ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) في التأسيس لهذا الاتجاه الشعري ؛ إذ يرى أنّ النساء ((متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه ، والغزل وأسبابه ، والتآلف ووجوهه ، لا شغل لهنَّ غيرهُ ، ولا خلِقنَ لسواه))(٢١) ويقول في أحدى مقطوعاته الشعرية :ـ

وهل يأمـنُ النسـوانَ غيـرُ مُغفَلٍ   جهولٍ لأسبابِ الرّدى متأرّضِ
وكم واردٍ حوضاً من الموتِ أسودٍ   ترشّفهُ من طيّبِ الطعمِ أبيضِ (٢٢)

إنَّ الثقة مفقودة بين بعض الشعراء والمرأة ؛ لذلك نقل أولئك الشعراء إلى الآخرين خلاصة تجاربهم مع النساء ، ومنهم الشاعر ابن الحداد (ت عام ٤٨٠تقريباً) الذي يقول :ـ

خُنْ عَهْدَها مثلَ ما خَانتكَ مُنتصِفا ◌ً   وامْنَحْ هَوَاها بنسـيان ◌ٍ وسُلْوَان ◌ِ
فالغِيْدُ كالرَّوْض ◌ِ في خَلق ◌ٍ وفي خُلُق ◌ٍ   إنْ مَرَّ جَان ◌ٍ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ جان ◌ِ(٢٣)

ويُخرج الفقيه أبو حيّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) النساء من دائرة الإنسانية ويساويهن بالدراهم ، فهو يرى الطرفين وسيلتين خطيرتين للغواية والضلال :ـ

إن الـدَراهمَ وَالنسـاءَ كِـلاهُـما   لا تَأمَنَنَّ عَليـهما إنسـانا
يَنزَعنَ ذا اللُب المَتينِ عَن التُقى   فيَرى إساءة فعلِهِ إحسانا(٢٤)

ويتمادى القاضي (أبو البركات ابن الحاج البلفيقي) (ت٧٧٣هـ) في هجو النساء بأبياتٍ تنزل على المسامع كالصاعقة ؛ إذ يقول :ـ

قد هجوتُ النسـاءَ دهرا ◌ً فلم أب   لـغ أدانـي صفاتـهنَّ الذميمه
ما عسى أن يقال في هجو من قد   خصَّهُ المصطفى بأقبحِ شيمه
أو يبـقى لنـاقص العقل ◌ِ والـديـ   ـن إذا عُـدَّتِ المثالبُ قيـمه(٢٥)

مفارقة كبيرة أن تصدر مثل هذه الأبيات عن قاضٍ أندلسي يعلمُ جيداً أنَّ نقص العقل والدين في المرأة مردّهُ إلى طبيعتها البايلوجية وغلبة الجانب العاطفي عليها ، وهذا مما لا يقدح في كرامتها ولا إنسانيتها

شيئاً ، فضلاً عن أن الشاعر الفقيه كان منهمكاً في حياته في طلب المرأة ، إذ كان ((ممّن أكتسب المال الجمَّ ، وتمتع من النساء بما لم يتأتَّ في قطر لأمثاله من الفقهاء))(٢٦) وربما تعود آراء القاضي أبي البركات والفقيه أبي حيان في النساء إلى طبيعة العصر الذي عاشا فيه وهو عهد بني الأحمر في الأندلس الذي كانت النساء فيه تتمتع بحرية مفرطة كشف عنها مؤرخ هذا العهد في الأندلس لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) قائلاً :. ((ولقد بلغْنَ من التفنن في الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبغات ، والتنفيس بالذهبيات والديباجيات ، والتماجن في أشكال الحلْي ، إلى غايةٍ نسأل الله أن يغض عنهنَّ عين الدهر ، ويُكفكف الخطر ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وأن يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خفي لطفه ، بعزته وقدرته))(٢٧) .

ولكن مع ذلك تبقى تلك الآراء في النساء قاسية جداً ، لأنَّها تسلب من النساء اعز ما تملك :الشرف والكرامة والوفاء !

المحور الثاني : الفتوى الشعرية المحرّمة :

يمثل الفقهاء من قضاة وخطباء ومقرئين ومفسّرين الوجه الديني والاجتماعي للمجتمع ، فهم يتحمّلون أعباء القضاء ، ويتصدّون للدراسات الخاصة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ويحافظون على القيم الدينية والاجتماعية و ويوجّهون الآخرين إلى كل ما فيه صلاح آخرتهم ، فعلى الفقهاء تقع مسؤولية عظيمة لأنَّ المجتمع يعدُّهم قدوةً له في الأقوال والأفعال ، ومن هنا ينبع أثرهم الكبير في توجيه المجتمع بأمان إلى طريق الفضيلة .

وبناءً على ما تقدم يكون واجباً على الفقهاء أن يتطابق قولهم مع سلوكهم ، ومن الفقهاء الذين يؤمنون بهذا الواجب الفقيه (ابن حزم الأندلسي) (ت٤٥٦هـ) الذي يقول بعد دفاعٍ مستميت عن مبدأ العفة في الحب :.

وهل يلزمُ الإنسانَ إلّا اختيارُهُ وهل بخبايا اللفظِ يُؤخَذُ صامتُ (٢٨)

نستشف من هذا البيت أن كل إنسان (ولا سيما الخطيب) مُلزمٌ بما ينطق به ؛ لأنَّ ما يتفوه به أي خطيب إنما هو سلوكٌ وموقفٌ واختيارٌ .

وأمام دعوة ابن حزم إلى العفة نجد دعوة أخرى مناقضة إذ يقول :.

قانص الفرصة واعلم أنَّها كمضي البرق تمضي الفرصُ
كم أُمورٍ أمكنت أمهلها هي عندي إذ تولت غُصَصُ
بادر الكنز الذي الفيته وانتهز صيداً كبازٍ يقتص(٢٩)

إنها دعوة لاقتناص الفرص حتى لو كانت بهذه الطريقة التي تتنافى مع إنسانية الإنسان بقوله :-

إذا أنا بلّغت نفسي المُنـى   من رَشَأً ما زال لي مُمرضا
فما أُبالي الكره من طاعة   ولا أُبالـي سخطاً من رشـا
إذا وجدت الماء لا بد أن   أُطفي به مشعل جمـر الغضا(٣٠)

تتوزع في هذه الأبيات (أنا) الشاعر بين ضمير المتكلم (أنا ، بلغتُ ، وجدتُ) ، وياء المتكلم (نفسي ، لي ،ما أُبالي ، لا أُبالي ،أُطفي) ، معلنةً فتوى شعرية جريئة إلى إطفاء ضمأ الوصال دون أيِّ اعتبار لمشاعر الآخر / المحبوب ، ودون التزام بحدود الأخلاق والذوق العام في المجتمع بدلالة تكرار النفي في قوله (ما أُبالي ، لا أُبالي)وهي فتوى يصعب صدورها من فقيه كابن حزم طالما تغنى بعفته في الحب !

وقد أسهم الفقهاء (ولاسيما القضاة منهم) في نقل القضاء من الجد إلى ميادين الغزل واللهو والسخف حيث تنقلب القيم رأساً على عقب ويكون الحرامُ حلالاً ، والقتل مشروعاً ، ومن شواهد ذلك قول القاضي أبي القاسم محمد بن يوسف المعروف بابن الجقالة من أهل المائة الثامنة :-

يا هاجري يا قاتلي بصدوده   أحللت لا بالشرع قتـل المسلمِ
هذا نجيعي فوق خدك شاهدٌ   أجنيت حتى حلَّ قتلي أو دمي(٣١)

وما دام القاضي يستلذ بشكوى الحب ، ويبيح الهوى ، ويلهو بالغزل فلا مانع لدى الشعراء من أن يشاركوهم هذا اللهو وتلك اللعبة ، مستفيدين من خبرتهم الكبيرة في أُمور القضاء ! فهذا أحد الأُدباء كتب إلى القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت٣٥٥ هـ)بهذه الأبيات :-

مسألـةٌ جئتك مستفتيـاً   عنها وأنت العالم المستشارْ
علام تحمر وجوه الظبـا   وأوجه العشاق فيها اصفرارْ

فأجابه القاضي البلوطي :-

احمـرَّ وجه الظبي إذ لحظُهُ   سيفٌ على العشاقِ فيه احمرارْ
واصفرَّ وجه الصبِّ لمّا نأى   والشمس تُبقـي للمغيب اصفـرارْ(٣٢)

وفتوى شعرية أُخرى يفتي بها الفقيه ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) لأديب كتب إليه يقول :-

سألت الوزير الفقيه الأجل   سؤالَ مُدلٍ على من سألْ

فقلتُ أيا خير مسترشدٍ   ويا خير من عن إمامٍ نقل
أيحرم أن نالني قبلةً   غزالٌ ترشفَ فيه الغزل
وعانقني والدجى خاضبٌ   فبتنا ضجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشداً   فبيّن فديت لمن قد سأل(٣٣)

فيجيبه الفقيه ابن حزم قائلاً :-

إذا كان ما قلته صادقاً   وكنتَ تحريت جهد المقلْ
وكان ضجيعك طاوي الحشا   أعار المهاة احمرار المقل
قريب الرضا وله غنة   تميت الهموم وتحيي الجدل
ففي أخذ أشهب عن مالك   عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهم   على أن ذلك حل وبل(٣٤)

كنا ننتظر من الفقيهين (البلوطي وابن حزم) أن يكون جوابها للأديبين اللذين استفتياهما في أمور الغزل والحب مثل جواب الشاعر ابن درّاج القسطليّ (ت٤٢١هـ) عن تفسير لغزٍ أرسله إليه أحد الأدباء ، فلم يتعب الشاعر فكرة في ذلك ، لأنه كان جاداً في أكثر شؤونه ، مترفعاً عن كثير من صغائر الأمور(٣٥) و توافه الأشياء ، فاكتفى بأن كتب إلى السائل على ظهر رقعتهِ بديهةً :-

إذا شَذت عن العَرَبِ المَعاني   فَلَيْسَ إلى تَعرُّفِها سَبيلُ(٣٦)

وكان على الفقيهين أن يحترما اللقبين اللذين أطلقه عليهما الأديبان ، فالبلوطي هو (العالم المستشار) وابن حزم هو (الفقيه الأجل) ، فهل يليق بعالم مستشار وآخر جليل أن يخوضا مع الأدباء في توافه الأمور وصغائرها ، وهل كانا ينقصهما الحرص والجد ؟!.

ونجد من الفقهاء من لا يتحرج من النظم في الأمور الماجنة التي تمس حرمة الدين على سبيل إظهار البراعة الفنية ، ومنهم قاضي مالقة أبو عبد الله محمد بن علي بن عسكر الغسّاني (ت٦٣٦هـ) :-

أهواكَ يا بَدْرَ وأهوى الذي   يعذلني فيك وأهوى الرقيبْ
والجارَ والدارَ ومَنْ حَلّها   وكلَّ مَنْ مرَّ بها من قريبْ
ما إنْ تنصرّتُ ولكنني   أقولُ بالتثليثِ قولاً غريبْ

تطابقُ الألحانَ والكأسَ إذْ تبسمُ عُجْباً والغزالَ الربيبْ(٣٧)

جاءت الأبيات في إطار الغزل اللاهي فأصبح صدورها من قاضٍ جليلٍ بمثابة فتوى شعرية تبيح لكل الشعراء أن ينظموا على شاكلتها ما يشاؤون !! .

وكان الفقيه (أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي) (ت٧٣٠هـ) قيّماً على النحو والفتوى واللغة ، ومع ذلك نسمعه يقول :-

أتمنـعُ أنْ أقبّلَ مـنك كفاً وقد حرَّمْتَ ثغرَكَ بالعفافِ
وها أنا طائفٌ بك كلَّ حينٍ فعيِّنْ لي المقبَّلَ للطوافِ (٣٨)

على لسان هذا الفقيه الأندلسي يتحوّل الطواف حول البيت الحرام إلى طواف حول (كعبة) المحبوب ، والبحث في جسده عن منطقة مثيرة للتقبيل ! ممّا يفتح باباً (مُحرَّماً) أمام الشعراء لنقل الشعائر الدينية وأسماء الأماكن المقدسة إلى ميادين المجون .

ولم تمنع المنزلة الاجتماعية الفقهاء من إعلان ميلهم إلى الغلمان أمام الملأ فهذا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحميدي (ت٦١٠هـ) خطيب جامع قرطبة قد كملت لهُ ست وتسعون سنة كان يعشق غلاماً اسمه عيسى ، فقرأ عليه غلامٌ آخر اسمه محمد ، فمال إليه ، قائلاً :-

تبدّلـتُ من عيسى بحبِّ محمدٍ هُديتُ ولولا اللهِ ما كنتُ أهتدي
وما عن ملالٍ كان ذاك وإنّما شريعةُ عيسـى عُطّلت بمحمّدِ (٣٩)

وهذا القاضي أبو الحسن بن أضحى الهمذاني (ت٥٤٠هـ) ولي القضاء في المريّة عام ٥١٤هـ أخذ يُهوّن على الكاتب الفتح بن خاقان (ت٥٢٩هـ) مؤلف كتاب قلائد العقيان معاناته مع غلامٍ من أحسن الناس صورة كان يهواه ، بأبيات جاء فيها :-

أتـتني أبا نصـرٍ نتيجةَ خاطـرٍ سريعٍ كرجْعِ الطرفِ في الخَطَراتِ
فأعـربتَ عن وَجْدٍ كمينٍ طويّتَهُ بأهيـفَ طـاوٍ فاتـر اللحظاتِ
غـزالٌ أحـمّ المقلتيـنِ عرفتـهُ بخيف مِنـىٍ . للحينِ . أو عَرَفاتِ
رمـاك فأصمى والقلـوبُ رميـة لكلِّ كحيل الطـرفِ ذي فتَـكاتِ
فظنَّ بأنَّ القلبَ منك محـصّبٌ فلبّـاك مـــن عينـيه بالجَمراتِ

فقرَّبَ بالنساكِ من كلِّ منسكٍ   وضحّى غداةَ النّحر بالمهجاتِ

وكانتْ له جيّانُ مثوىً فأصبحتْ   ضلوعك مثواهُ بكلِّ فلاةِ

يعزُّ علينا أن تهيمَ فتنطوي   كئيباً على الأشجانِ والزفراتِ

فلو قبِلتْ للناسِ في الحبِّ فديةٌ   فديناكَ بالأموالِ والبَشَراتِ (٤٠)

أليس في هذين النصين (رخصة شعرية) من خطيب جامع قرطبة وقاضي المريّة للشعراء تجيزُ لهم توظيف أسماء الأنبياء وقصصهم والشعائر الدينية في غزلهم الشاذ بالغلمان ؟! .

ولم يتورع بعض فقهاء الأندلس عن النظم في معانٍ محرجة تتعلق بالجنس ، من ذلك أبيات الفقيه أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) :.

وَيعجبني رَشفُ تِلكَ الشِفاهِ   وَعَضُّ الخُدودِ وَهَصرُ القوام

مَحاسنُ فاقَت قَضيبَ الأَراك   وَوَردَ الرياض وَكَأسَ المدام(٤١)

أن الحرج في نظم فقيه لمثل هذه المعاني يبدو واضحاً عند قراءة أو سماع قول ابن هانئ الأندلسي (ت٣٦٢هـ) في المعنى نفسه :.

واللّهِ لولا أن يُعنفّني الهوى   ويقولَ بعضُ القائلينَ تصابَى

لكسّرتُ دُمْلُجَها بضيق عناقِها   ورشفتُ من فيها البَرودِ رُضابا(٤٢)

يجعلنا النصان أمام مفارقة مؤلمة ؛ فابن هانئ الشاعر يدرك أن مثل هذه المعاني قبيحة لذلك فهو يعتذر على التفوّه بها ، أمّا أبو حيان . وهو فقيه . فيعلن على الملأ إعجابه بها وتفضيله لها على غيرها من المفاتن !

وقال الشاعر الرمادي (ت٤٠٣هـ) واصفاً موطناً من مواطن الفتنة في جسد المرأة :.

وَكانَت عَلى خَوفٍ فَوَلَّت كَأَنَّها   مِن الرِّدفِ في قيد الخَلاخلِ تَرسفُ(٤٣)

فأجاد في الوصفِ إجادةً دفعت قاضي اشبيلية أبا حفص عمر بن عبد الله السَّلمي (ت٦٠٣هـ) إلى وصف ذلك الموطن المثير وصفاً يطير في الأفاق فاهتدى إلى ذلك حتى ((اشتهر في الغرب والشرق قوله))(٤٤) :.

لها رِدفٌ تعلّق من لطيف   وذاكَ الرِدفُ لي ولها ظلومُ

يُعذِّبني إذا فكّـرتُ فيـه وَيُتعِبـها إذا رامـت تقومُ(٤٥)

فترك هذا الوصف أثره في الشعراء ومنهم الشاعر أبو جعفر الرّعيني (ت٧٧٩هـ) فأخذ يقترب منه قائلاً :ـ

ثقيلةُ أردافٍ فصعبٌ قيامُها بما حملتْ منها وسهلٌ قعودُها(٤٦)

وحتى الشاعر الضرير ابن جابر الهواري (ت٧٤٩هـ) لم تمنعه عاهة العمى من الظفر بوصفٍ مقاربٍ لوصف قاضي اشبيلية ، فاهتدى إلى القول :ـ

رِدْفٌ أقـام لنا بها فتـنَ الهوى وإذا أتتْ لتقومَ قال لها اقعدي
أبصرتُها ما بينَ ذاك وبين ذا فوقعتُ منها في المقيمِ المُقعدِ (٤٧)

لقد كان شيوع مثل هذا الوصف الماجن عن قاضي اشبيلية سبباً في قدح المؤرخ ابن سعيد فيه بـ((أنه غير حافظ للناموس الشرعي بكثرة تغزله ، واشتهار مقطّعاته ، وانهماكه في العشق))(٤٨) .

ونسمع عن قاضي شنتمرية أبي الفضل جعفر بن محمد بن الأعلم (ت٥٤٧هـ) هذه الفتوى الشعرية المثيرة للجنس :ـ

قالتْ وقـد أقبلتُ ألثمهـــا والخُرْصُ لا يُلْوى على الدَّهَشِ
أفضَحْتَ نفسَكَ ؟ قلتُ : واحَرَبا أأموتُ في غَـرَقٍ من العَطَشِ (٤٩)

ولوّح بعض الفقهاء بأسماء العورات في شعرهم ، ومنهم الفقيه الزاهد أبو إسحاق الأبليدي (ت٤٦٠هـ) الذي رمز إلى قدرته الجنسية على الرغم من شيخوخته قائلاً :ـ

إن عودي لعاجميه لصُلْبٌ وفؤادي كصـــارمٍ مَضَّاءِ
وأُقضّـي لبناتـي وأروّي عاملَ الرمحِ من دمِ العذراءِ (٥٠)

ومثله الشيخ القاضي المُسنّ أبو جعفر أحمد بن عتيق الشاطبي (ت٧٤٣هـ) الذي بلغ به العمر تسعين عاماً ، فأخذ يخاطب نفسه بأبيات فيها لفظة جنسية بذيئة قائلاً :ـ

عَدَتْ بك عن نيلِ المعيشة كبْرَةٌ تراختْ لها الأعضاءُ واستَنْزِرَ الخيرُ
وقلَّ انتفاعُ الأهلِ منكَ فأعرضوا كأنـك فـرخٌ مل مـن زقـه الطـير

مُرادُ الغواني منك خيرٌ ووزنُـهُ فمـا أنــتَ لا خـيرٌ لديـــك ولا...(٥١)

إنَّ تفوه القضاة بمثل هذه المعاني الماجنة يمثل عندنا شكلاً من أشكال التهاون في تطبيق أحكام الشريعة.

ولم يكتفِ القاضي أبو البركات ابن الحاج البلفيقي (ت٧٧٣هـ) بتهميش المرأة وسلبها كرامتها وإنسانيتها ، بل أخذ (يُشرّع) فتوى شعرية (محرمة) لدى كل عاقل ومنصف ، تضع المرأة في المكان التي اختارها لها هذا القاضي ، إذ يقول :ـ

مـا رأيـتُ النسـاءَ يصلحن إلا للذي يصلح الكنيفُ لأجلهْ
فعلى هذه الشريطة فأصحبـهُنَّ (م) لا تعد بأمرىءٍ عن محلِّهْ(٥٢)

إنَّ الشواهد المتقدمة تترك أثرها في أوساط المجتمع الأندلسي لأنها تأخذ طابع (الفتوى) بجواز ممارستها ؛ لأن مصدر تشريعها فقهاء المسلمين في الأندلس !!

المحور الثالث تمجيد الرذيلة :ـ

الفضيلة جوهر الإنسانية لذلك يتغنى الشاعر بها حتى لو لم تكن متوافرة فيه أو ينسبها إلى آخرين / ممدوحين حتى لو كانوا يفتقدون إليها لأن الشاعر ((يحاول أن يرسم صورة شعرية لمثلٍ إنساني عالٍ تمليه عليه ظروفه الاجتماعية والطبقية . ومرحلته التأريخية ، ثم يعطي هذه الصورة بعد ذلك اسم الممدوح والطبقية أو يربطها بحوادث وقعت في حياته))(٥٣) .

إن سلوك الشاعر هذا قد يكون مُبّرراً بهدف ترسيخ القيم النبيلة في المجتمع ، وإشاعتها والترغيب في اكتسابها ، ولكن هناك سلوكيات خطيرة عند أكثر من شاعر أندلسي تتمثل في التغني بالرذيلة وتمجيدها!

كان الظهور الأول لمثل تلك السلوكيات في غرض الغزل ، ليس في الأندلس وحدها بل في المشرق على اختلاف العصور الأدبية ؛ إذ وجدت لها في الغزل العفيف تحديداً غطاءً مناسباً يتناغم مع معاني شكوى بعد المحبوب وظلمه ، ولذة الوصل ، وصدق الغرام ، حتى أصبح (الذل) في الغرام (عزاً) لمن يحب وقياساً لصدق محبته ! وتحول إلى فضيلة يتغنى بها العشاق من الشعراء من أمثال ابن سهل الأندلسي (ت٦٤٩هـ) وهو يتغزل بمحبوبه (موسى) فيقول :ـ

وَلَولا حَيائي وَاِتِّقـاءُ مَحَلـَّه ◌ِ لَقَبَّلـتُ نَعلَيـهِ بِرَغمِ العِدا أَلـفا
تَأَوَّلتُ فيهِ الذُلَّ قُلتُ تَواضُعٌ وَحَسَّنتُ تَركَ الصَونِ سَمَّيتُهُ ظَرَفا(٥٤)

الشاعر ابن سهل يدرك جيداً أن الذل رذيلة ولكنه يأخذ بتأويل تلك الرذيلة ليوهم نفسه بأنها يمكن أن تكون شيئاً آخر يكتسب صفة الحمد كالتواضع مثلاً ! وتتحول عنده العفة إلى ظرف وتفاكه وكياسه ، هكذا تنقلب القيم رأساً على عقب ، ليس لشيءٍ إلا لأن الشاعر يريد أن يثبت لمن يحب حقيقة مشاعره!

وَيَهْتَأُ الشاعر (الأعمى التطيلي) (ت٥٤٢هـ) بـ(الضلالة) ويراها بـ(بصيرته) عنواناً لـ(الهداية)، فيقول :ـ

واها ٍ لقلبيْ وقد أودتْ بـه حُـرَقٌ   من شادنٍ غنَجِ بالوصلِ ضِنيّنِ

....

كم عاذلٍ رامَ عَذْلي فيهِ قلتُ لـه   لا تـعْذُلنّي فإنَّ العَذْلَ يُغْريـني
قالوا ضَلَلْتَ طَرِيقَ الرُّشْدِ قلتُ لهم   يهنيكمُ الرشدُ إنَّ الغيَّ يَهْنيني(٥٥)

إنَّ الانقلاب القِيَمي عند الأعمى التطيلي في هذا النص يمثل وسيلة دفاعية هي التبرير اعتدنا حضورها عند الشعراء العميان في كل زمن ؛ إذ يتم تبرير تصرف ما بسبب معين لا يقنع الآخرين لكنه يقنع الشاعر نفسه فقط .

كان من الممكن تهوين أمر تمجيد الرذيلة لو أنه اقتصر على غرض الغزل ، ولكنه شاع ليشمل أموراً جادةً نتحسس خطرها في السخط الكبير الذي أبداه الشاعر أبو الحسن جعفر ابن الحاج (ت بعد عام ٥١٧هـ) وهو يرى انهيار القيم في الأندلس ، فيقول :ـ

كفى حَزَناً أنَّ المشـارع جمّةٌ   وعندي إليها غلّةٌ وأوامُ
ومن نكدِ الأيامِ أنْ يعدم الغنى   كـريمٌ وأنَّ المكثرين لئامُ (٥٦)

لقد كان الكرم عند العرب قيمة قبلية إنسانية ذات معنى وجودي(٥٧) ، ((أمّا هنا في أسبانيا الإسلامية فهو صفة مصحوبة بالتفكير والحساب))(٥٨) ، ومن الكرماء المتحفظين الأمير المعتضد بن عباد (ت٤٦هـ) ، فهو يقول :ـ

لعمرك ما الإسرافُ فيَّ طبيعةٌ   ولكنَّ طبعَ البخلِ عنديَ كالحتفِ(٥٩)

ويُحسّن الشاعر أبو الفضل جعفر بن شرف (ت٥٣٤هـ) التملق والغدر والرياء ، فيقول :ـ

إذا ما عدوّكَ يوماً سما   إلى رُتبةٍ لم تطق نقضَها

فـقبّلْ ولا تأنـفـنْ كفـَّهُ   إذا أنـتَ لـم تستطـعْ عضـَّها(٦٠)

ونلمس عند الشاعر السّميسر (ت٤٨٠ تقريباً) دعوة إلى ترك الطموح :ـ

إذا شئـت أبقـاء أحـوالكا   فلا تـُجدِ جاهاً على بالكا
وكـُنْ كالطريقِ لمجتازها   يمرُّ وأنـت على حـالكا(٦١)

وشاطره الرأي شاعر آخر هو الخطيب أبو محمد عبد الله بن موسى المرسي (ت بعد عام ٥١٠ هـ) قائلاً :ـ

لله مـا ألقـاه مـن همةٍ   لا ترتضي إلا السها منزلا
ومن خمولٍ كلما رمت أن   أسمو بهِ بين الورى قال لا(٦٢)

ويتحول (المشيب) عند الشاعر أبي الحسن عبد الملك بن عيّاش الجابري من (واعظ من غفلةٍ) و (نذيرٍ للموت) إلى سبب لإطاعة الهوى وركوب الرذائل :ـ

عَصَيتُ هَوى نَفسي صَغيراً فَعِندَما   رَمَتني اللَّيالي بِالمَشيبِ وَبِالكِبَرْ
أَطَعتُ الهَوى عَكسَ القَضِيَّةِ لَيتَني   خُلِقتُ كَبيراً وَانتَقَلتُ إِلى الصِّغَرْ(٦٣)

ويُحَدِّدُ الشاعر (أبو القاسم عامر بن هشام) (ت٦٢٣هـ) معايير جديدةً للصداقة فيقول :ـ

لا خيرَ في الصاحبِ إنْ لم يَكـُنْ   يَقودُ أو يَنكِحُ أو يُنكـَحُ
فإنْ خَلـَتْ مـن صاحـبٍ هـذهِ   فإنـَّهُ للـودِّ لا يصلـحُ(٦٤)

ويرى (أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات) (ت٥٠٧هـ) الحِلـْمْ قيداً والجدَّ داءً ، لذلك يدعو إلى اللهو والعبث قائلاً :ـ

والحلمُ قيْدٌ فدعْه واحْظَ في مَرَحٍ   والجِدُّ داءٌ فـداوِ النفس باللـعَبِ
والهمُّ للنفْسِ شيطانٌ يوسوسها   فاقذفْهُ من أنجمِ الصهباءِ بالشهبِ (٦٥)

وأصبح (الفخر بفاحشة الزنى) ظاهرة يطيب لشعراء الأندلس وشاعراتها التغني بها ، وكان بداية هذه التهوين من أمر بعض المقدمات الجنسية كالنظر واللمس والتقبيل ، كقول الرمادي (ت٤٠٣هـ) :ـ

وَما بيَ فَخرٌ بِالفجورِ وَإِنَّما   نَصيبُ فُجوري الرشفُ وَالشفتانِ(٦٦)

إننا أمام شاهد (اعتذاري) يلتمس فيه الشاعر عُذراً لنفسه أمام الآخرين لأنه لم يصل بعد إلى مرتبة الفخر بالفجور على الرغم من رشفه للشفاه .

ولم ترَ ولادة بنت المستكفي (ت٤٨٤هـ) بأساً في نظرات وزراء الدولة الجهورية إلى جمالها لأن جسدها . كما تدّعي . محرم على اللمس :.

وإنّي وإنْ نظر الأنامُ لبهجتي   كظباء مكّة صيدهنَّ حرامُ (٦٧)

فإذا كانت ولادة تفخر بذلك ، وهي امرأة يُنتظرُ منها العفاف والحشمة وغضّ البصر فلا غرابة أن يفتخر الشاعر ابن اللبّانة الداني (ت٥٠٧هـ) قائلاً :.

الحمدُ للهِ فإنّي امرؤٌ   قد تبْتُ إلا منْ وجوهِ الملاحْ(٦٨)

ولن تشفع أيةُ ذريعةٍ لشعراء الأندلس في تمجيد الرذيلة ، كذريعة (التعويض) عن عاهة العمى في شعر الحُصَري القيرواني (ت٤٨٨هـ) على عادة الشعراء العميان في تعبيرهم عن امتلاك المرأة جسدياً، ليعوّضوا نقصاً في واقعهم الاجتماعي :.

ولمّا أينعت رُمّانتـها   ونادى الوصلُ حيَّ على القطافِ
تَأَذَّتْ فيهما بفَمِي فقالتْ   شمائلُ عاشِقٍ وفعـال جـافِ(٦٩)

ولا التعبير بالاستعارات والكنايات عن مواضع الفتنة في جسد المرأة ، كقول ابن خفاجة الأندلسي (ت٥٣٣هـ) :.

تُسافِـرُ كِلتا راحَتَيَّ بِجِسمِهِ   فَطَوراً إِلى خَصرٍ وَطَوراً إِلى نَـهدِ
فَتَهبِطُ مِن كَشحَيهِ كَفَّي تَهامَةً   وَتَصعَدُ مِن نَهدَيهِ أُخرى إِلى نَجدِ(٧٠)

وقول أبي الحسن علي بن يوسف بن خروف القرطبي (ت٦١٠هـ) :.

مثلي يُسَمّى أريباً   مثلي يُسَمّى أديبـا
إذا وَجدتُ كثـيباً   غَرست فيه قَضيبا
وَلا أُبالي خصيباً   لاَقيتُه أم جَديبـا(٧١)

لأن الكناية أحياناً أبلغ من التصريح ، والاستعارة والرمز أكثر تأثيراً من الحقيقة ، لأن الأساليب البلاغية تحفز الخيال ، وتثير التصورات الذهنية التي توصل المتلقي في النهاية إلى إثارة قد تفوق

التعبير المباشر ، نتحسّس ذلك في أبيات أبي القاسم المنيشي (عاش في نهاية عصر المرابطين) وهو يفتخر بالفاحشة :.

ولمّـا خلـونا ورقّ الكـلامُ   دفعتُ بكفّيَ في صدرها
ومَـنْ لا أسمّيه مثـل القنـاةِ   فألقتْ ذراعاً على عشرها
فما زلتُ أجمعُ طعناً وضرباً   على زيـدها وعلـى عَمْرها (٧٢)

لقد تفاقم أمر تمجيد الرذيلة عند بعض شعراء الأندلس ، فوصل إلى الحد الذي أصبحت فيه الصلاة ، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، لا تنهى عند أحد الشعراء وهو الكاتب محمد بن مالك عن تمني ممارستها حتى في دور العبادة !!

وَأَهيَفٍ كَالقَمَرِ الطالِعِ   أبصرتهُ في المَسجِدِ الجامِعِ
يَقولُ مَن أَبصَرَهُ راكِعاً   كُلُّ المُنَى في سَجدَةِ الراكِعِ (٧٣)

وطالب الأديب (أبو الحسن عبد الكريم بن فضال الحُلواني) (شاعر من القرن الخامس الهجري) بممارسة الجنس الشاذ مع المُرْد بوحشية حيوانية :.

يا صاح خُذها صيحةً لبَكَهْ   بالـودَّ إنْ كنتَ فاتكَ الفتَكَهْ
اسفكْ دمُ المُرْد إنْ وجدتـهمُ   فليس يلقى العذابَ منْ سَفَكَهْ (٧٤)

وحدّد شاعر أندلسي مجهول العمر المُناسب للغلمان الذين تُرادُ ممارسة الفاحشة معهم :.

الطفلُ في عشرٍ فما هو دونَـهُ   حتـّى يجـيء الظبيُّ غير مرجّمِ
لا تعذلِ الإنسانَ في شهواته   في الناسِ من يلتذُّ أكلَ الحصرمِ (٧٥)

ورُويَ عن القاضي أبي البركات ابن الحجاج البلفيقي (ت٧٧٣هـ) أنَّهُ كان جالساً مع بعض أصحابه في دهليز بيته ، فدخلت زوجته عائدة من الحمّام وهي بغير سراويل لقرب الحمّام من البيت ، فانكشف ساقها ، فما كان من القاضي إلا أنْ ذهب خلف زوجته مسرعاً ، وغاب ساعةً ، ثم خرج إلى أصحابه ، وأنشدهم قائلاً :.

كشفتْ على ساقٍ لها فرأيتهُ   متلألئاً كالجوهرِ البـرّاقِ
لا تعجبوا إن قام منه قيامتي   إنَّ القيامةَ يومَ كَشفِ الساقِ (٧٦)

إلى هذا الحد قد تغلب الجنس على إرادة بعض رجال الأندلس ومنهم القاضي البلفيقي الذي لم يسيطر على شهوته وهو يرى (زوجته) خارجة من الحمّام والأكثر من ذلك أنه يحدث رفاقه بأمر مواقعته زوجته في بيتين شعريين يُدرك جيداً أنهما سيذاعان بين الملأ !!

ونختم حديثنا عن تمجيد الرذيلة بنصّ للكاتب أبي محمد عبد الله بن حجّاج الأشبيلي (ت٦٠١هـ) المعروف بـ(أبي الياسمين) الذي كان يفضل أن يختص بخدمته الغلام الأسود على غيره من الغلمان ، فقال يردُّ على من يلومه في ذلك :-

يعيبـون حبـي للسـواد جهالةً   وما علموا ما فيه لي من مآربِ
أهينـيُ لقصـدي ربَّهُ وهو خادمٌ   إذا ما علا فوقي بمجداف قـاربِ
وَيُلقـى ضحـوك السّنِّ للهِ دَرُّهُ   حمولاً لما حمّلتُهُ غيـرَ لاغـبِ
وفيـه خصـالٌ جمـةٌ غيرُ هذهِ   أحقُّ الورى طرّاً بخدمةِ كاتـبِ
فيا معشرَ الكتّابِ أوصيكم بهِ   وصيّةَ مَنْ يُعنّي بحاجةِ صاحبِ (٧٧)

إن هذا النص البذيء يكفي وحدهُ دليلاً على انقلاب القيم في الأندلس !

إننا أمام هذه الشواهد المخزية لتمجيد الرذيلة لا نملك إلا أن نردِّدّ مع الشيخ ابن ليون التجيبي (٤٥٠هـ) قولَهُ :-

زمنُ الفضائلِ قد مضى لسبيلهِ   ولوى بطيبِ العيشِ وَشْكُ رحيلهِ

....

هيهات ما زمنُ الكرامِ وماهُمُ   ذهبوا وَجَـدَّ الدهـرُ فـي تحـويلهِ (٧٨)

الخاتمة

شهدت الأندلس انقلاباً خطيراً للقيم التي رشحها الإسلام في النفوس ، وقد اتخذ هذا الانقلاب اتجاهات شعرية مختلفة توحدّت في عنوان سقوط القيم النبيلة ، لتحلَّ محلّها قيم سلبية بدرجةٍ لم يعهدها عرب الأندلس ومسلموها .

لقد برز في الأندلس شعر قد حط من قدر الإنسان عن طريق تفضيل الحيوانات عليه أو مساواته معهم ، وتقسيم الناس إلى فريقين لا يملكان شيئاً من الصفات النبيلة ، والتأسيس لظاهرة (وأد النساء) .

وتنوعت في الأندلس الفتاوى الشعرية التي امتلكت القدرة على التأثير في المجتمع ، لأن مصادرها فقهاء المسلمين في الأندلس ، وقد كان هذا التأثير سلبياً لأنه أسهم في شيوع قيم سلبية في المجتمع ، لذلك اكتسبت تلك الفتاوى الشعرية صفة (التحريم) .

وكان رأس الهرم الانقلابي للقيم في الأندلس تمجيد الرذائل كالزنى والبخل والخمول وغيرها ، فأصبح الفخرُ بالفاحشة بديلاً عن الفخر بالعفة ، وحلَّ طلب الخمول محلّ الدعوة إلى الطموح ، وناب البخل (المُقتّن) عن العطاء .

لقد أسهم الكثيرون من حكام الأندلس وفقهائها وأدبائها في الانقلاب القيمي عن طريق ترخّصهم في الخوض شعراً في توافه الأمور وصغائرها ، ونظم أو تقبل الشعر الذي يدعو إلى اللهو والعبث ويُشيعُ الرذيلة ، فكان انقلابُ القيم في الأندلس دليلاً قاطعاً على ضعف هيبة الإسلام في النفوس .

الهوامش

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) ، تحقيق : محمد عبد الله عنان : ٣/٢٣٤ .

(٢) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس : ٣٣.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) تحقيق د. إحسان عباس : ٤/١١٧ .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني (ت٥٤٢هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس : ق٢ ، ج٤ ، ص٥٩٣ .

(٥) نفح الطيب ٤ / ١١٨ .

(٦) المصدر نفسه ، المكان نفسه ، والبيت للطبيب أبي عبد الله الجبلي القرطبي .

(٧) المصدر نفسه : ٧ / ٣٥٢ .

(٨) المصدر نفسه : ٢ / ٥٢٤ .

(٩) أعلام مالقة ، أبو عبد الله بن عسكر و أبو بكر بن خميس تقديم وتخريج وتعليق الدكتور عبد الله المرابط الترغي : ٢٩٤

(١٠) (السُّمسير حياته وشعره) ، د. حلمي الكيلاني ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، جامعة مؤتة ، الأردن ، مج٧ ، ع١ ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م ص١٣٤ قطعة رقم ١١

(١١) ديوان أبي حيان الأندلسي، تحقيق : د. أحمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي : ٤٥٦ .

(١٢) نفح الطيب : ٥ / ٥٨٣ .

(١٣) الكتيبة الكامنة : ١٧٨ .

(١٤) المصدر نفسه : ٣١ .

(١٥) نفح الطيب : ٢ / ٣١٦ .

(١٦) المُغْرب في حُلىَ المغرب ، ستة مؤلفين من بني سعيد آخرهم علي بن سعيد تحقيق د. شوقي ضيف : ١ / ٦٢ .

(١٧) المصدر نفسه : ١ / ٢٩٧ .

(١٨) الذخيرة : ق١ ، ج٥ ، ص٥٧٣ .

(١٩) (شعر ابن حزم الأندلسي) ، جمع وتحقيق : عبد العزيز إبراهيم ، مجلة المورد م٢٦ ، ع٤ ، ق٢ ، ١٩٩٨م ، ص٧٦ ، قطعة رقم ٧٨ .

(٢٠) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، أبو الحسن النباتي ، (ت بعد ٧٩٣هـ) : ١٦٧ .

(٢١) طوق الحمامة في الإلفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : الطاهر أحمد مكي : ٧٩ .

(٢٢) (شعر ابن حزم الأندلسي) ، مجلة المورد ، م٢٧ ، ع٢ لسنة ١٩٩٩ ، ق٣ : ٩٧ قطعة رقم ١١٢ .

(٢٣) نفح الطيب : ٣ / ٥٠٥ .

(٢٤) ديوان أبي حيان الأندلسي : ٤٧٣ .

(٢٥) الكتيبة الكامنة : ١٣٣

(٢٦) المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا : ١٦٦ .

(٢٧) الإحاطة في أخبار غرناطة : ١ / ١٣٩ .

(٢٨) (شعر ابن حزم الأندلسي) ، مجلة المورد ، م٢٦ ، ع١ ، لسنة ١٩٩٨ : ق١ ، ص١٠٧ ، قطعة رقم ١٧ .

(٢٩) المصدر نفسه : ق٣ ، ص٩٦ ، قطعة رقم ١٠٧ .

(٣٠) المصدر نفسه : المكان نفسه ، قطعة رقم ١٠٩ .

(٣١) الكتيبة الكامنة : ١١٠ .

(٣٢) نفح الطيب : ٢ / ٢٢ .

(٣٣) المصدر نفسه : ٤ / ١٦٠ .

(٣٤) (شعر ابن حزم الأندلسي) ، مجلة المورد ، م٢٧ ، ع٢ لسنة ١٩٩٩ ؛ ق٤ ، ص١٠٤ ، قطعة رقم ١٥٦ .

(٣٥) ينظر : تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، د. إحسان عباس : ٢٥٨ .

(٣٦) ديوان ابن درّاج القسّطلي ، حققه وقدّم له وعلّق عليه د. محمود علي مكي : ٧١٢ .

(٣٧) نفح الطيب : ٣ / ٣١١ .

(٣٨) الكتيبة الكامنة : ٨٠ .

(٣٩) المُغْرب في حُلىَ المغرب : ١ / ٢٢٠ .

(٤٠) خريدة القصر وجريدة العصر ، العماد الأصفهاني ، تحقيق : عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم : ق٢ ، ج٢ ، ص٥٤٢ .

(٤١) ديوان أبي حيان الأندلسي : ٤٧٥ .

(٤٢) ديوان ابن هانئ الأندلسي ، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له د. عمر فاروق الطباع : ٥٦ .

(٤٣) شعر الرمادي يوسف بن هارون الأندلس في القرن الرابع الهجري ، جمعَه وقدّم له ماهر زهير جرّار : ٨٩ قطعة رقم ١١ .

(٤٤) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، ابن سعيد علي بن موسى ، تحقيق : إبراهيم الإبياري : ٩٣ .

(٤٥) المصدر نفسه : المكان نفسه .

(٤٦) نفح الطيب : ٧ / ٣٥١ .

(٤٧) المصدر نفسه : ٧/ ٣٣٨ .

(٤٨) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة : ٩٢ .

(٤٩) المُغْرب في حُلىَ المغرب : ١ / ٣٩٦ .

(٥٠) ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي حققه وقدّم له د. محمد رضوان الداية : ٨٤ .

(٥١) الكتيبة الكامنة : ١٠٦ ، والنقاط تشير إلى كلمة بذيئة حذفناها ويمكن فهمها من السياق .

(٥٢) المصدر نفسه : ١٣٣ .

(٥٣) محمد بن عمار الأندلسي (دراسة أدبية تأريخية مع جمع لشعره) ، د. صلاح خالص : ٣٤ .

(٥٤) ديوان ابن سهل الأندلسي ، قدّم له د. إحسان عباس : ٢٤٥ .

(٥٥) ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة من موشحاته ، تحقيق د. إحسان عباس : ٢١٢ .

(٥٦) نفح الطيب : ٣ / ٤٦٣ .

(٥٧) ينظر : النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغذامي : ١٤٦ .

(٥٨) الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، هنري بيريس ، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي : ٣٨٢ .

(٥٩) (ديوان المعتضد بن عباد) (ت٤٦١هـ) ، تحقيق د. محمد مجيد السعيد ، مجلة المورد ، م٥ ، ع٢ ، ١٣٩٦هـ . ١٩٧٦م : ص١٠٧ ، قطعة رقم ١ .

(٦٠) نفح الطيب : ٣ / ٣٩٦ .

(٦١) (السّميسر حياته وشعره) : ١٤٦ قطعة رقم ٣٨ .

(٦٢) نفح الطيب : ٣ / ٤٦٣ .

(٦٣) المصدر نفسه : ٤ /٣٢٧ .

(٦٤) المُغْرب في حُلىَ المغرب : ١ / ٧٥ .

(٦٥) خريدة القصر : ق٢ ، ج٢ ، ص١٠٣ .

(٦٦) شعر الرمادي : ١٢٨ قطعة رقم ١٢٥ .

(٦٧) ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم : ٤٨ .

(٦٨) شعر ابن اللبانة الداني ، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد : ٣٠ قطعة رقم ١٦ .

(٦٩) أبو الحسن الحصري القيرواني عصره ، حياته ، رسائله ، محمد المرزوقي والجيلاني بن يحيى : ١١٣ .

(٧٠) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق د. سيد غازي : ٣٤٩ .

(٧١) المُغْرب في حُلىَ المغرب : ١ / ١٣٨ .

(٧٢) الذخيرة : ق٢ ، ج٣ ، ص١١٥ .

(٧٣) رايات المبرّزين وغايات المميّزين ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد ، حققه وعلق عليه د. محمد رضوان الداية : ١٩٧ ، وصاحب النص كان كاتباً عند ابن مردنيش الجذامي (٥١٨ هـ . ٥٦٧هـ) .

(٧٤) الذخيرة : ق٤ ، ج٧ ، ص١٩٩ .

(٧٥) المصدر نفسه : ق٤ ، ج٧ ، ص١٩٩ .

(٧٦) ينظر الرواية والبيتان : نفح الطيب : ٥ / ٤٨٧ .

(٧٧) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة : ٤٥ .

(٧٨) نفح الطيب : ٥٨٦/٥ .

ثبت بأسماء المصادر والمراجع والدوريات :ـ

أولاً :ـ المصادر والمراجع

ـ الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ج١ ، ط٤ ، ٢٠٠١م ، ج٣ ، ط٤ ، ٢٠٠٣م .

ـ أعلام مالقة ، أبو عبد الله بن عسكر (ت٦٣٦هـ) أو أبو بكر بن خميس (ت بعد عام ٦٣٨هـ) تقديم وتخريج وتعليق الدكتور عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ودار الأمان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.

ـ أبو الحسن الحصري القيرواني عصره ـ حياته ـ رسائله ، محمد المرزوقي والجيلاني ابن الحاج يحيى ، مكتبة المنار ـ تونس ، ١٩٦٣ .

ـ تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ، د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨١م.

ـ خريدة القصر وجريدة العصر ، العماد الأصفهاني، ق٤ ، ج٢ ، تحقيق : عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

ـ ديوان ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ) ، تحقيق د. سيد غازي ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط٢ ، ١٩٧٩م .

ـ ديوان ابن درّاج القسطليّ (ت٤٢١هـ) ، حقّقه وقدم له وعلّق عليه د. محمود علي مكي ، منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، ط٢ ، ٢٠٠٤ .

ـ ديوان ابن زيدون ورسائله (ت٤٦٣هـ) ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، ط٣ ، ٢٠٠٤م .

ـ ديوان ابن سهل الأندلسي (ت٦٤٩هـ) ، قدّم له الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٧ .

ـ ديوان ابن هانئ الأندلسي ، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له د. عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ١٩٩٨م .

ـ ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي (ت٤٦٠هـ) حققه وقدّم له د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٦م .

ـ ديوان أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق د. أحمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٩م .

ـ ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة من موشحاته (ت٥٤٢هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣م .

ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، أبو الحسن علي بسّام الشنتريني (ت٥٤٢هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

ـ رايات المبرّزين وغايات المميّزين ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (ت٦٨٥هـ) ، حققه وعلق عليه د. محمد رضوان الداية ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٨٧م .

ـ شعر ابن اللبانة الداني (ت ٥٠٧هـ) جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد ، دار الكتب للطابعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٧٧م .

ـ الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه عامة وموضوعات الرئيسية وقيمته الوثائقية ، هنري بيريس ، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف بمصر ، ط١ ، ١٩٨٨م .

ـ شعر الرمادي يوسف بن هارون شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري (ت٤٠٣هـ) ، جمعه وقدم له ماهر زهير جرّار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م .

ـ طوق الحمامة في الإلفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق : الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٧٧م .

ـ الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، ابن سعيد علي بن موسى (ت٦٨٥هـ) ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٦٧م .

ـ الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة ، لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣م .

ـ محمد بن عمار الأندلسي دراسة أدبية تأريخية لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بني عباد في أشبيلية ، د. صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد ، ١٩٥٧م .

ـ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نُشر بعنوان تاريخ قضاة الأندلس ، أبو الحسن النباتي ، (ت بعد ٧٩٣هـ) ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د.ت) .

ـ المُغْرب في حُلىَ المغرب ، ستة مؤلفين من بني سعيد آخرهم علي بن سعيد (ت٦٨٥هـ) ، ج١ ، ج٢ ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، ط٤ ، (د.ت) .

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .

ـ النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، المملكة المغربية ، الدار البيضاء ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠١م .

ثانياً الدوريات :

ـ ديوان المعتضد بن عباد (ت٤٦١هـ) ، تحقيق د. محمد مجيد السعيد ، مجلة المورد ، م٥ ، ع١ ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

ـ السمسير حياته وشعره (ت٤٨٠ تقريباً) ، د. حلمي الكيلاني ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، جامعة مؤتة ، الأردن ، مج٢٧ ، ع١ ، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م .

ـ شعر ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ، جمع وتحقيق : عبد العزيز إبراهيم ، مجلة المورد م٢٦ ، ع٢ ، ق١ ١٤١٩م ـ ١٩٩٨م ، م٢٦ ، ع٤ ، ق٢ ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ، م٢٧ ، ع٢ ، ق٣ ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ، م٢٧ ، ع٤ ، ق٤ ، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .

Abstract

This research tackles the inversion of values in Andalusia. The inversion is

shown in three sections: satirizing humanity, giving forbidden poetic legal opinion, and glorifying depravity. In the first section, we study the poetry that depreciates the value of man and put him in a level equal to animal or less than it. It classifies man in two groups possessing ignoble traits. This contributed to the rise of a dangerous phenomenon, burying women alive.

The second section collects poetic legal opinions issued by the Muslim legal jurists in Andalusia that helped negative values to spread in society and acquire a prohibiting trait. The third section discloses the glorification of depravities like stinginess, adultery and sluggishness.

The final result of the inversion of values in Andalusia is that it led to weakening the veneration of Islam in the hearts of people.